الفصل الخامس: ضوابط التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ

وبعد أن تناولنا تأثير علم الطِّبّ في كيفيَّة التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، يرى الباحث أهميَّة مناقشة الضَّوابط العلميَّة والعمليَّة المستعملة في التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، التي تجب لمن أراد أن يتعمَّق في هذا المجال معرفتُها، لأنَّ الذي نتعامل معه في هذا المجال هو جزء من الميراث النَّبويّ، ولذلك ينبغي لكل باحث في المجال توقيره والاستفادة منه أكثر استفادة ممكنة، وإنَّ وضع هذه الضَّوابط مهم حتى لا يخرج أي باحث في هذا المجال من النطاق المضبوط المسموح، وسوف يبيّنها الباحث من خلال عدَّة مباحث في هذا الفصل.

ويهدف هذا الفصل إلى توضيح الضَّوابط العلميَّة في التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، وكيفيَّة تطبيقها عمليًا، وسيعرض الباحث هذه الضَّوابط في خمسة مباحث، وهي: أن تكون أحاديث الطِّبّ النَّبويّ صحيحة أو حسنة أو ضعيفة ضعفًا يسيرًا، وأن تكون أحاديث الطِّبّ النَّبويّ مشروحة في ضوء الحقائق الطِّبيَّة الثَّابتة والمعاصرة، وأن يراعي متخصص علم الطِّبّ نقل الحقائق الطِّبيَّة، وأن يميز بين أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المبنيَّة على الوحي، والمبنيَّة على الاجتهاد، وفي الأخير عن أخلاقيَّات الباحث في التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ.

المبحث الأوَّل: أن تكون أحاديث الطِّبّ النَّبويّ صحيحة، أو حسنة، أو ضعيفة ضعفًا يسيرًا

إنَّ من الأسباب الرَّئيسة في التثبت من رتبة الأحاديث النبويَّة وصحتها التَّهديد الوارد في الأحاديث، الذي أشار إلى قبح مصير من قال عن الرَّسُول ﷺ ما لم يثبت، وقد قال ﷺ: "إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ

كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[٦٩٧]، وقال ﷺ في حديث آخر: "مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ"[٦٩٨]. وهذا بلا شكَّ لحفظ الدِّين الإسلامي، من أي تحريفات وتبديلات تهدم الدِّين وتعاليمه.

المطلب الأوَّل: طرق التَّثبت من رتبة الأحاديث النبويَّة

يمكن لأي دارس معرفة مدى صحَّة الحديث أو ضعفه من خلال الطريقتين الآتيتين:

أوَّلًا: التأكُّد من ورود الحديث في كتب الأحاديث المسندة، لجمع الأسانيد، ومعرفة مدار الإسناد. وإذا كان هذا الحديث غير موجود في هذه الكُتُب المسندة، فإنه من الأدلَّة القويَّة التي تدلُّ على أنه ليس من أحاديث الرَّسُول ﷺ[٦٩٩].

ثانيًا: الانتقال إلى دراسة أسانيد الحديث، وهي تشمل أموراً كثيرة، كدراسة عدالة الرُّواة وضبطهم، واتصال الأسانيد أو انقطاعها، والبحث عن الشُّذُوذ والعلل التي تؤثر في صحَّة الحديث. وإذا تمت هذه الطريقة، يقدر على الحكم عليه بالصِّحَّة أو الضَّعف، وهو خاص لمن له باع طويل في هذا العلم الدَّقيق.

---

[٦٩٧] البخاري. ٢٠٠٢. *صحيح البخاري*. كتاب الجنائز. باب ما يكره من النياحة على الميت. ص. ٣١٢. رقم الحديث ١٢٩١. مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. مقدِّمة الإمام مسلم. باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ. ج. ١: ٥. رقم الحديث ٤.

[٦٩٨] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. مقدِّمة الإمام مسلم. باب وجوب الرِّواية عن الثقات وترك الكذابين. ج. ١: ٤. ابن ماجه. د.ت. *سنن ابن ماجه*. باب من حدّث عن رسول الله ﷺ حديثًا وهو يُرى أنه كذب. ص. ٢٠. رقم الحديث ٤١.

[٦٩٩] قال ابن الجوزي: ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع. قال: ومعنى مناقضته للأصول: أن يكون خارجًا، عن دواوين الإسلام من المسانيد والكُتُب المشهورة. انظر: السيوطي. د.ت. *تدريب الرَّاوي في شرح تقريب النَّووي*. ج. ١. ص. ٣٢٧.

أما من لم يتخصص في هذا المجال، فيمكنه الاكتفاء بالرجوع إلى المتخصِّصين في علم الحديث، وذلك من خلال السؤال، أو من خلال قراءة مصنفاتهم، أو الاستعانة بالمواقع الموثوقة في هذا المجال.

ثالثًا: التمييز بين المتشددين، والمعتدلين، والمتساهلين في الحكم على الحديث. أما المتشددون كابن معين، وأبو حاتم الجوزجاني، فإنَّ توثيقه مقبول دائمًا، خلافًا لتضعيفه، وإذا كان وافقه غيره في التضعيف، ولم يوجد من يخالفه، فذاك راو ضعيف، ولكن إذا خالفه أحد، لا يجوز قبول تجريحه إلا إذا كان مفسرًا. وأما المتساهلون كالتِّرمذي[٧٠٠]، والحاكم النَّيسابوري، والبيهقي، فإنَّ في تصحيحهم نظراً، وآراء غيرهم من المحدثين المعتبرين تُقدم. ثم القسم الثَّالث من المحدثين، وهم المعتدلون، كالبخاري، وأحمد بن حنبل، وأبي زرعة، وابن عدي، فإنَّ منهجهم في التَّصحيح والتَّضعيف يُعدُّ أوسط المناهج، وأسلمها[٧٠١].

رابعًا: تقديم حكم المتقدِّمين على المتأخرين في حالة وجود الاختلاف بينهم، في أغلب الأحكام. قال السخاوي: "... أفاده العلائي، وقال: فمتى وجدنا في كلام أحد من المتقدِّمين الحكم به، كان معتمدًا، لما أعطاهم الله من الحفظ الغزير، وإن اختلف النَّقل عنهم، عُدل إلى الترجيح"[٧٠٢].

خامسًا: إعمال الدَّارس التَّرجيح بين اختلاف المحدثين إنَّ وُجد، ويعمل برأيه بعد ترجيحه بين آراء المحدثين[٧٠٣].

---

[٧٠٠] قال ابن قيم الجوزية: "الترمذي يصحح أحاديث لم يتابعه غيره على تصحيحها، بل يصحح ما يضعفه غيره أو ينكره". انظر: الجوزية، محمد ابن قيم. ١٩٩٣. *الفروسية*. تحقيق: مشهور بن سلمان. السعودية: دار الأندلس. ص. ٢٤٣.

[٧٠١] الذَّهبي، محمَّد بن أحمد. ١٩٩٠. *ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل، أربع مسائل في عُلوم الحديث*. بيروت: دار البشائر الإسلاميَّة. ص. ١٧٢، ١٧١.

[٧٠٢] السَّخاوي. ٢٠٠٣. *فتح المغيث بشرح ألفية الحديث*. ج. ١. ص. ٣١٣.

[٧٠٣] انظر: إسماعيل. ٢٠١٦. *التَّفسير العلمي للأحاديث النبويَّة: دراسة تأصيلية نقديَّة*. ص. ٥٠.

المطلب الثَّاني: ظاهرة تساهل العلماء في قبول أحاديث الطِّبّ النَّبويّ الضَّعيفة ضعفًا يسيرًا

وقد اتفق علماء الأمَّة على قبول الأحاديث النبويَّة في رتبة الصَّحيح، كدليل من الأدلة المعتبرة في الشَّريعة الإسلاميَّة، بغض النَّظر عن الموضوعات المتناولة فيها[٧٠٤]، ويجب الاعتقاد والعمل بما فيه بإجماع المحدثين، ومن يعتمد عليه من الأصوليين والفقهاء[٧٠٥]، لا سيما ما صحَّ من الأحاديث التي بلغت رتبة التواتر التي يُكفر منكرها، إذا اتفق المحدثون على تواترها، وإن اختلفوا في تواترها بينهم، فمنكرها يعد آثمًا[٧٠٦]. ولذلك قال يحي بن محمَّد بن يحي: "لا يثبت الخبر عن النَّبيّ ﷺ حتى يرويه ثقة عن ثقة، حتى يتناهى الخبر إلى النَّبيّ ﷺ بهذه الصفة، ولا يكون فيهم رجل مجهول، ولا رجل مجروح، فإذا ثبت الخبر عن النَّبيّ ﷺ بهذه الصفة وجب قبوله والعمل به وترك مخالفته"[٧٠٧].

أما الحديث الحسن، وإن كان دون الصَّحيح في صحته وقوته، فإنه يعدُّ حديثًا مقبولًا، وحكم الاحتجاج به مثل الصَّحيح من الأحاديث، ولذلك احتجَّ به جميع الفقهاء، ومعظم المحدثين والأصوليين[٧٠٨]. قال النَّووي: "... ثم الحسن كالصَّحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه في القوة؛ ولهذا

---

[٧٠٤] عتر. ١٩٩٧. *منهج النَّقد في عُلوم الحديث*. ص. ٢٤٤، ٢٦٦.

[٧٠٥] انظر: الطَّحَّان. ٢٠٠٤. *تيسير مصطلح الحديث*. ص. ٤٦.

[٧٠٦] انظر: القضاة. ٢٠١٣. *المنهاج الحديث في عُلوم الحديث*. ص. ١٩٣.

[٧٠٧] الخطيب البغدادي. د.ت. *الكفاية في علم الرِّواية*. ص. ٢٠.

[٧٠٨] انظر: الطَّحَّان. ٢٠٠٤. *تيسير مصطلح الحديث*. ص. ٥٨، ٥٩. وانظر: القضاة. ٢٠١٣. *المنهاج الحديث في عُلوم الحديث*. عمان: دار الفاروق. ص. ٢١٤.

أدرجته طائفة في نوع الصَّحيح ..."[٧٠٩]، وقال ابن حجر: "وهذا القسم من الحسن مشارك للصحيح في الاحتجاج به، وإن كان دونه، ومشابه له في انقسامه إلى مراتب بعضها فوق بعض"[٧١٠]. وعلاوة على ذلك، يبدو أنَّ بعض المتساهلين من العلماء أدرجوا الحديث الحسن في نوع الصَّحيح لمشاركته للصحيح في القبول والاحتجاج، مثل ابن خزيمة، وابن حبَّان[٧١١].

والجدير بالذكر أنَّ العلماء مع اتفاقهم في قبول الصَّحيح والحسن من الأحاديث، فإنهم اختلفوا في قبولهم للأحاديث الضَّعيفة ضعفًا يسيرًا. وقد قال بعضهم إنَّ الأحاديث الضَّعيفة ضعفًا يسيرًا تُقبل، سواء كان في الحلال والحرام، أو في غيره كالفضائل، في حالة عدم وجود غيرها، وهو قول بعض الأئمة كالإمام أحمد، والإمام أبي داود السجستاني[٧١٢]. وتساهل آخرون من العلماء في قبول سائر الرِّوايات الضَّعيفة ضعفًا يسيرًا في غير أبواب العقيدة، وأحكام الشَّريعة، كفضائل الأعمال، والقصص، والمواعظ، والتَّرغيب والتَّرهيب، وغيرها، وقد وضعوا عدَّة شروط، كما تقدَّم ذكرها، واختار هذا الرَّأي كبار علماء الأمَّة، كعبد الرحمن بن مهدي[٧١٣]، وهو قول جمهور العلماء[٧١٤]، ونقل النَّووي اتفاق العلماء عليه[٧١٥]. وكذلك هناك فرقة ثالثة تقول بعدم جواز العمل بالأحاديث الضَّعيفة مطلقًا، لا في الفضائل، ولا في

---

[٧٠٩] النَّووي. ١٩٨٥. *التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث*. ص. ٢٩.

[٧١٠] العسقلاني. ١٤٢٢. *نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر*. ص. ٧٨.

[٧١١] انظر: السيوطي. ١٤٣١. *تدريب الرَّاوي في شرح تقريب النواوي*. ج. ١. ص. ١٦٠. وانظر: الطَّحَّان. ٢٠٠٤. *تيسير مصطلح الحديث*. ص. ٥٨، ٥٩. وانظر: القضاة. ٢٠١٣. *المنهاج الحديث في عُلوم الحديث*. ص. ٥٩.

[٧١٢] عتر. ١٩٩٧. *منهج النَّقد في عُلوم الحديث*. ص. ٢٩١.

[٧١٣] ابن الصَّلاح. ١٩٨٦. *مقدّمة ابن الصَّلاح*. ص.١٠٣ .

[٧١٤] عتر. ١٩٩٧. *منهج النَّقد في عُلوم الحديث*. ص. ٢٩٢، ٢٩٣.

[٧١٥] ذكره النَّووي في مقدمته للأربعين النَّووية. انظر: مصطفى البغا ومحيي الدين مستو. ٢٠١٠. *الوافي في شرح الأربعين النَّووية*. ص. ٨.

غيرها، وهو الرَّأي المعزو إلى الإمام أبي بكر ابن العربي، وغيره[٧١٦]، وقد تقدَّم الحديث عن اختلاف العلماء في الاستشهاد بالأحاديث الضَّعيفة في الفصل الثَّالث من البحث.

وبالإضافة إلى ذلك، تقدم أنَّ الأحاديث الصَّحيحة والحسنة تُقبل في سائر الموضوعات، مثل العقائد، والأحكام، وغيرهما، وكذلك في شأن الطِّبّ النَّبويّ، فإنَّ هذه الأحاديث تُقبل فيه أيضًا، وقد استشهد بها العلماء والأطبَّاء في مؤلفاتهم المتعلِّقة بالطِّبّ النَّبويّ. وبالرغم من ذلك، إذا نظرنا في مؤلفات الطِّبّ النَّبويّ، نجد أنَّ معظم مؤلفيها تساهلوا في استشهادهم بأحاديث الطِّبّ النَّبويّ الضَّعيفة ضعفًا يسيرًا، وهذا يدلُّ على إدخالهم باب الطِّبّ ضمن الأبواب التي يجوز الاستشهاد بالأحاديث الضَّعيفة فيها عند بعض العلماء، مثل فضائل الأعمال، والتَّرغيب والتَّرهيب، ونحوها، وقد أشار إلى هذا الأمر الدّكتور النَّسيمي حيث قال: "وكان المؤلفون في الطِّبّ النَّبويّ لدى استشهادهم بالأحاديث الضَّعيفة، يرون التساهل بالأخذ بالحديث الضَّعيف الوارد في الطِّبّ، كما هو الحال في الأخذ بالحديث الضَّعيف، إذا لم يكن ضعفه شديدًا، في فضائل الأعمال حيث لا يكون الحديث متعلقًا بالعقيدة، ولا يبنى عليه حكم شرعي من فرض، أو تحريم ..."[٧١٧].

وقد تقدَّم ذكر الباحث لبعض الأحاديث الضَّعيفة المذكورة في كتاب "الطِّبّ النَّبويّ" لابن قيِّم الجوزيَّة، وسيذكر الباحث أمثلة أخرى عن أحاديث الطِّبّ النَّبويّ الضَّعيفة الموجودة في بعض مؤلفات الطِّبّ النَّبويّ غير كتاب ابن قيِّم الجوزيَّة، من خلال النِّقاط الآتية:

---

[٧١٦] عتر. ١٩٩٧. *منهج النَّقد في عُلوم الحديث*. ص. ٢٩٣، ٢٩٤.

[٧١٧] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ١. ص. ٢٨.

أوَّلًا: في كتاب "الأمراض والكفَّارات والطِّبّ والرقيات" لضياء الدِّين المقدسي، ذُكر فيه بعض الأحاديث الضَّعيفة ضعفًا يسيرًا، مثل:

١- حديث: "تَدَاوُوا مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ بِالْقِسْطِ الْبَحْرِيِّ وَالزَّيْتِ"[٧١٨]، وفي سنده ميمون أبو عبد الله، وهو ضعيف[٧١٩].

٢- حديث: "مَا أُبَالِي مَا أَتَيْتُ أَوْ مَا رَكِبْتُ، إِذَا أَنَا شَرِبْتُ تِرْيَاقًا، أَوْ تَعَلَّقْتُ تَمِيمَةً، أَوْ قُلْتُ الشِّعْرَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِي"[٧٢٠]، وفي سنده عبد الرحمن بن رافع التنوخي، وهو ضعيف[٧٢١].

ثانيًا: في كتاب "أربعون بابًا في الطِّبّ من الأحاديث الصِّحاح والحسان"، لشمس الدِّين البعلي، مثل:

١- حديث عيادة الرَّسُول ﷺ للرجل، فقال له: " مَا تَشْتَهِي؟" قال: أَشْتَهِي خُبْزَ بُرٍّ. قال الرَّسُول ﷺ: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ خُبْزُ بُرٍّ، فَلْيَبْعَثْ إِلَى أَخِيهِ"، ثم قال ﷺ: "إِذَا اشْتَهَى مَرِيضُ أَحَدِكُمْ شَيْئًا، فَلْيُطْعِمْهُ"[٧٢٢]، وفي سنده صفوان بن هبيرة[٧٢٣].

---

[٧١٨] الطِّبْرَاني. ١٩٩٤. *المعجم الكبير*. باب الزَّاي. ميمون أبو عبد الله، عن زيد بن أرقم. ج. ٥: ٢٠٢. رقم الحديث ٥٠٩٠. ضعفه الألباني. انظر: *سلسلة الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمَّة*. ج. ٧. ص. ٤٠٦. وانظر: المقدسي. ١٩٩٩. *كتاب الأمراض والكفَّارات والطِّبّ والرقيات*. ص. ١٢٥.

[٧١٩] قال ابن حجر: "ميمون أبو عبد الله البصري مولى ابن سمرة ضعيف ..."، انظر: العسقلاني، أحمد بن حجر. ١٩٨٦. *تقريب التهذيب*. تحقيق: محمَّد عوامة. سوريا: دار الرشيد. ص. ٥٥٦. وقال أبو إسحاق الحويني: "...ميمون هذا ضعَّفه عامَّة النقاد كيحيى القطان، وأحمد، وابن معين، وأبي داود. انظر تعليقه على كتاب الأمراض والكفَّارات والطِّبّ والرقيات. ص. ١٢٥.

[٧٢٠] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المكثرين من الصَّحابة. مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. ج. ١١: ٦٥١، ٦٥٢. رقم الحديث ٧٠٨١. قال شُعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: إسناده ضعيف. وانظر: المقدسي. ١٩٩٩. *كتاب الأمراض والكفَّارات والطِّبّ والرقيات*. ص. ١٧٧.

[٧٢١] قال ابن حجر: "عبد الرحمن ابن رافع التنوخي المصري قاضي إفريقية ضعيف ..."، انظر: العسقلاني. ١٩٨٦. *تقريب التهذيب*. ص. ٣٤٠. وقال شُعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: "... عبد الرحمن بن رافع التنوخي: قال البخاري: في حديثه مناكير، وقال أبو حاتم: شيخ مغربي حديثه منكر، وذكره ابن حبان في "الثقات" وقال: لا يحتج بخبره إذا كان من رواية ابن أنعم، وضعفه الحافظ ابن حجر في "التقريب"". انظر تعليقه على مسند أحمد بن حنبل. ج. ١١. ص. ٦٥٢.

ثالثًا: كتاب "الطِّبّ النَّبويّ" للذَّهبي، مثل:

١- حديث أبي هريرة أنه قال: رآني رسول الله ﷺ وأنا نائم أتلوّى من وجع بطني، فقال: "أشكم درد؟"، قلت: نعم يا رسول الله ﷺ. قال ﷺ: "قُمْ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ شِفَاءٌ"[٧٢٤]، وفي سنده ذوّاد أبو المنذر بن علبة الحارثي، وليث بن أبي سليم، وهما ضعيفان[٧٢٥].

وبناء على ما ذكرنا من الأحاديث الضَّعيفة آنفًا، يستنتج الباحث أنَّ الأحاديث الضَّعيفة واردة في كثير من مؤلفات الطِّبّ النَّبويّ، ومعظمها من الأحاديث الضَّعيفة ضعفًا يسيرًا، وذلك لأنهم أطلقوا باب الطِّبّ في الأبواب التي لا تتعلَّق بالعقائد، والأحكام، كما نصَّ الدّكتور النَّسيمي آنفًا، وبالتَّالي تساهلوا في إيراد أحاديث الطِّبّ النَّبويّ الضَّعيفة في مؤلفاتهم، وتناولوها بالشَّرح والبيان العلمي. والجدير بالذكر أنَّ الدّكتور النَّسيمي اعترض على اتجاه قبول أحاديث الطِّبّ النَّبويّ الضَّعيفة، وأكّد على عدم جواز قبول أحاديث الطِّبّ النَّبويّ وإن كان ضعفها يسيرًا، إلا بموافقتها مع الحقائق الثَّابتة في علم الطِّبّ. قال الدّكتور النَّسيمي: "... وإني لا أسلم بهذا الرَّأي في الطِّبّ – يعني رأي قبول أحاديث الطِّبّ النَّبويّ

---

[٧٢٢] ابن ماجه. ٢٠٠٩. *سنن ابن ماجه*. أبواب الجنائز. باب ما جاء في عيادة المريض. ج. ٢: ٤٣٤. رقم الحديث ١٤٣٩. قال شُعيب الأرنؤوط في التحقيق: إسناده ضعيف. وأبواب الطِّبّ، باب المريض يشتهي الشيء. ج. ٤: ٤٩٩. رقم الحديث ٣٤٤٠. وانظر: البعلي. د.ت. *أربعون بابًا في الطِّبّ من الأحاديث الصِّحاح والحسان*. ص. ٨٨.

[٧٢٣] قال ابن حجر العسقلاني: "صفوان بن هبيرة التيمي العيشي، أبو عبد الرحمن البصري ... قلت: وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه ...". انظر: العسقلاني. ١٣٢٦. *تهذيب التهذيب*. ج. ٤. ص. ٤٣١.

[٧٢٤] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المكثرين من الصَّحابة. مسند أبي هريرة رضي الله عنه. ج. ١٥: ٢٩. رقم الحديث ٩٠٦٦. و ج. ١٥: ١٣١. رقم الحديث ٩٢٤٠. انظر: الذَّهبي. ١٩٩٠. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٨٢.

[٧٢٥] قال ابن حجر: "ذواد بن علبة بضم المهملة وسكون اللام بعدها موحدة الحارثي أبو المنذر الكوفي ضعيف عابد ...". انظر: العسقلاني. ١٩٨٦. *تقريب التهذيب*. ص. ٢٠٣. وقال عثمان بن أبي شيبة: سألت جريرًا عن ليث، ويزيد بن أبي زياد، وعطاء بن السائب، فقال: كان يزيد أحسنهم استقامةً، ثم عطاء، وكان ليث أكثر تخليطًا. وقال معاوية بن صالح، عن بن معين: ضعيف، إلا أنه يكتب حديثه. انظر: العسقلاني. ١٣٢٦. *تهذيب التهذيب*. ج. ٨. ص. ٤٦٦، ٤٦٧.

الضَّعيفة ضعفًا يسيرًا – ، إلا إذا اتفق الحديث الضَّعيف ضعفًا خفيفًا مع الثَّابت في الطِّبّ، لأنَّ إلهاء المريض بدواء لم تثبت نسبته إلى رسول الله ﷺ قد يلحق الضَّرر به، وقد يسبب له شكوكًا لدى عدم الاستفادة أو لدى حدوث ضرر باستعماله. وكذلك الأمر بالنسبة للسَّليم عندما يتعلَّق بأوهام على أنها من الوصايا الصِّحيَّة النبويَّة"[٧٢٦].

والذي يراه الباحث، إنَّ موقف الدّكتور النَّسيمي فيه نظر، لأنَّ احتمال وقوع الضَّرر والشُّكُوك لا يكون في العمل بأحاديث الطِّبّ النَّبويّ الضَّعيفة ضعفًا يسيرًا فقط، بل قد يكون في العمل بالصَّحيح والحسن منها أيضًا، مثل ما تقدَّم في الحديث الحسن عن علاج لدغة العقرب بالملح، حيث أيّد الطِّبّ المعاصر أنَّ علاج اللدغات بالملح يعدُّ من المعالجات التقليديَّة التي تسبِّب الضَّرر للمصيبين باللدغات، فاحتمال الضَّرر والشُّكُوك واقع بصرف النظر عن كون أحاديث الطِّبّ النَّبويّ صحيحة، أو حسنة، أو ضعيفة.

وبالتالي، إنَّ من أهم الطرق في حلّ هذا الإشكال هو التفريق بين أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المبنيَّة على الوحي الثَّابت، وبين أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المبنيَّة على اجتهادات الرَّسُول ﷺ، صحيحة كانت، أو حسنة، أو ضعيفة ضعفًا يسيرًا، لأنَّ التي من اجتهادات الرَّسُول ﷺ، فإنها مفتوحة للنقاش والتغير، كما هو معروف في سائر اجتهادات الرَّسُول ﷺ[٧٢٧]، وسوف يفصّل الباحث أهميَّة هذا التفريق في المباحث اللاحقة.

---

[٧٢٦] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ١. ص. ٢٨.

[٧٢٧] انظر: حاج محمَّد. ٢٠١٥. *الطِّبّ النَّبويّ وقواعد التَّعامُل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطِّبِّيَّة*. ص. ٩٤.

وإذا فهمنا أنَّ في بعض توجيهاته ﷺ الطِّبيَّة ما يتعلَّق بالاجتهاد فقط، لانتفى الضَّرر لأننا إذا نتعامل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ التي تُبنى على الاجتهاد، سنتوقف من العمل بها إلا بعد للرجوع إلى أهل الاختصاص في مجال الطِّبّ للتثبت منها، بناءً على الحقائق الثَّابتة في علم الطِّبّ الحديث. وإن هذا الأمر مهم جدًا، لأنَّ بعض الأدوية أو الطرق العلاجيَّة المذكورة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، وإن كان نفعها ثابتًا في علم الطِّبّ، لكن الرَّسُول ﷺ لم يحدد ما يتعلَّق بتفاصيلها مثل جرعتها[٧٢٨]، ولذلك يظهر أنَّ الرجوع إلى الأطبَّاء وأهل الأختصاص في الطِّبّ ضروري جدًّا، كما ذكر القُرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾.

ويخلص الباحث إلى أنَّ الرَّأي الأصوب في هذه القضيَّة هو قبول أحاديث الطِّبّ النَّبويّ ضعفًا يسيرًا، لعدم تعلقها بالعقائد والأحكام، ولأنَّ بعضها يتضمَّن الفوائد العلميَّة الزَّائدة فضلًا عن ما احتواه مجال الطِّبّ النَّبويّ. وعلى سبيل المثال، إنَّ حديث شكوى خالد بن الوليد المخزومي إلى الرَّسُول ﷺ من مرض الأرق الذي أصابه، وإن كان ضعيفًا من حيث الإسناد، فإنه يعطي إشارة إلى وجود التَّوجيه الطِّبّي لمرض الأرق (Insomnia) في فجر الإسلام، ولذلك قال الدّكتور النَّسيمي تعليقًا على هذا الحديث: "إنَّ هذا الحديث – وإن كان ضعيف الإسناد – يدلُّ على طريقة روحية في معالجة الأرق في فجر الإسلام ... وهي تنقل المؤمن من التفكير بهموم الدنيا إلى التفكير بالخالق العظيم ..."[٧٢٩].

---

[٧٢٨] انظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٤٥.

[٧٢٩] انظر: المصدر نفسه. ج. ٣. ص. ١٦٢.

المبحث الثَّاني: أن تكون أحاديث الطِّبّ النَّبويّ مشروحة في ضوء الحقائق الطِّبيَّة الثَّابتة والمعاصرة

إنَّ علم الطِّبّ من العُلُوم التجريبيَّة التي تتطوَّر بتطوُّر التكنولوجيا بمرور الزَّمان والعُصُور. وإذا تأملنا كتب الطِّبّ النَّبويّ أو المؤلَّفات المتعلِّقة بالإعجاز الطِّبّي، نجد إنَّ كثيرًا من مؤلفيها استعانوا بالحقائق الطِّبيَّة في إبراز معاني الأحاديث، أو لإظهار وجوه الإعجاز فيها، لاستخراج أكثر فوائد ممكنة من أحاديث الطِّبّ النَّبويّ.

والذي يراه الباحث إنَّ الاستعانة بالحقائق الطِّبيَّة في التَّعامُل مع أحاديث الطِّبيَّة ليست بمحذورة ولا محظورة، بشرط أن يكون المستعين بها متأكدًا من صحَّة الحقائق الطِّبيَّة وثبوتها قبل الاستعانة بها في شرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، ومكتفيًا بالحقائق التي تتعلَّق بالحديث بالمباشرة، ولا يفسره بالحقائق بلا حدود. قال الدّكتور أحمد شوقي إبراهيم: "ويجب للتفسير أن يتأسس على حقائق علميَّة ثابتة، وفي احتراس، وحذر، وأدب، وتعمُّق في الدِّراسة، ومع اتباع للمنهج العلمي الصَّحيح ..."[٧٣٠]، وقال أيضًا: "يجب أن يكون للفهم العلمي لبعض أوجه الحقيقة في النَّصِّ القُرآني أو في الحديث النَّبويّ حدودًا يقف عندها الباحث ولا يتعداها. وأحرى بأي عالم – مهما بلغ علمه – وهو يحاول أن يتفهم بعض المعاني في آية قُرآنيَّة أو حديث نبويّ أن يسكت فيما لا علم له به ..."[٧٣١].

---

[٧٣٠] إبراهيم، أحمد شوقي. ٢٠٢٠. "المنهج العلمي في دراسة الإعجاز العلمي في القُرآن والسُّـنَّة" .*موقع إسلام أون لاين*. https://islamonline.net/٣٣٥٩٩. التصفح في: ٣١ مايو ٢٠٢١.

[٧٣١] المصدر نفسه.

المطلب الأوَّل: مفهوم الحقائق الطِّبيَّة وأمثلتها

إنَّ الحقيقة في اللُّغة تفيد معنى شيء ثابت قطعًا ويقينًا[٧٣٢]، وفي العلم التجريبي تُستعمل للإشارة إلى ما صحّ من الأمور، وهي قابلة للتقويم والتعديل بناءً على اكتشاف البراهين العلميَّة الجديدة[٧٣٣]. أما الحقيقة الطِّبيَّة، فإنها تعدُّ حقيقة علمية تمرُّ بالاكتشافات العلميَّة حسب مراحلها، وهي وضع الفرضيات في البداية، ثم النَّظريَّة، ثم تصبح حقيقة بعد أن ثبتت علميًّا[٧٣٤]، وهي تتعلَّق بقضايا طبيَّة في مختلف مجالاتها.

يمكننا تقسيم هذه الحقائق الطِّبيَّة إلى قسمين من حيث ثبوتها، وهما: الحقائق الطِّبيَّة الثَّابتة (Reliable Medical Facts)، والحقائق الطِّبيَّة غير الثَّابتة (Unreliable Medical Facts). والجدير بالذكر أنَّ المقبول في شرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ هو الحقائق الطِّبيَّة الثَّابتة فقط، كما تقدَّم ذكره. ومن أمثلة هذين القسمين:

أوَّلًا: الحقائق الطِّبيَّة الثَّابتة. ومن أمثلتها:

١- ثبت طبيًّا أنَّ العسل نافع في الوقاية والعلاج من اضطراب معدي معوي (gastrointestinal disorder)، مثل القرحة المعويَّة (Peptic ulcer)، والتهاب

---

[٧٣٢] انظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد. ٢٠٠٨. *معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة*. الرِّياض: دار عالم الكُتُب. ج. ١. ص. ٥٣٣.

[٧٣٣] انظر: إسماعيل. ٢٠١٦. *التَّفسير العلمي للأحاديث النبويَّة: دراسة تأصيلية نقديَّة*. ص. ١٠٣.

[٧٣٤] انظر: دي شافيرسمان، ستيفن. ١٩٩٧. "An Introduction to Science". من موقع https://www.geo.sunysb.edu/esp/files/scientific-method.html . التصفح في: ٢٢ مارس ٢٠٢١.

المعدَّة (Gastritis)، والالتهاب المعدي المعوي (Gastroenteritis) ، لأنه يزيد سكان الميكروفلور الباكتيري، وهو مهم في حماية صحَّة الجهاز الهضمي[٧٣٥].

٢- ثبت في المكتشفات الحديثة عن فاعلية التَّمر في تثبيط السموم الباكتيرية الموجودة عند أفواه الصَّائمين، وهي متكاثرة لقلَّة اللعاب في الفم بسبب الصيام، وفي تثبيط السموم الباكتيرية المعزولة من مرضى التَّهاب اللوزات (Tonsillitis).[٧٣٦]

٣- ثبت في علم الطِّبّ فاعلية ماء الكمأة في علاج مرض التراخوما (Trachoma) في الدرجة الثَّالثة، وهو مرض معد يتعلَّق بالعيون، وله أثر فعال أيضًا في تخفيف تليّف هذا المرض عند موضع العيون للمصاب به[٧٣٧].

٤- ثبت طبيًا أنَّ زيت الزيتون يؤثر في خفض مقدار الكوليسترول الضَّار (Low density lipoprotein – LDL) المؤدي إلى اعتلال القلب المسبب للأمراض القلبيَّة الوعائية[٧٣٨].

---

[٧٣٥] موتوما أديماسو وبيكيشو غوليتا. ٢٠١٦. "Medicinal Uses of Honey". *Biology and Medicine Aligarh*. ج. ٨. عدد (٢): فبراير. ص. ٥.

[٧٣٦] انظر: أحمد، أروى عبد الرحمن. ٢٠١٣. إعجاز التَّمر في الشِّفاء والوقاية. السعودية: دار جياد. ص. ٦١-٧٤.

[٧٣٧] انظر: محمَّد الحسيني وآخرون. ٢٠١٦. " Efficacy of The Desert Truffle Terfezia Claveryi to Cure Trachoma Disease with Special Emphasis on its Antibacterial Bioactivity". *Trends in Medical Research*. ج. ١١. عدد (١): يناير. ص. ٢٨. وانظر: النجار، زغلول. ٢٠١٢. الإعجاز العلمي في السُّنَّة النَّبويَّة. مصر: دار نهضة. ص. ٣٢٢-٣٢٥.

[٧٣٨] انظر: ماريا إيسابيل وآخرون. ٢٠٠٩. " Olive Oil and Cardiovascular Health". *Journal of Cardiovascular Pharmacology*. ج. ٥٤. عدد (٦): ديسمبر. ص. ٤٨٠، ٤٨١. وانظر: النجار. ٢٠١٢. الإعجاز العلمي في السُّنَّة النَّبويَّة. ص. ٣٣٠.

ثانيًا: الحقائق الطِّبيَّة غير الثَّابتة. ومن أمثلتها:

١- لا يثبت في الطِّبّ أنَّ القراءة تحت ضوء خافت يؤدي إلى اعتلال دائم للعيون، وإن وجد بعض الإجهادات للعيون المقترنة بآثار سلبية لها، فإنها تعد مؤقتة فقط، ولا تجر إلى التغيير الدَّائم لهيئة العيون ودورها[٧٣٩].

٢- لا يثبت طبيًا أنَّ الاغتسال بالليل يفضي إلى اعتلال الرئتين، فالإرتشاح البلوري (Pleural effusion)، والتهاب الرئة (Pneumonia) يحدثان لأسباب أخرى مثل فشل القلب، أو السل (TB)، أو الصدمة في الرئتين[٧٤٠].

المطلب الثَّاني: أمثلة التَّطبيق العملي لشرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ في ضوء الحقائق الطِّبيَّة

وبعد ذكر بعض الأمثلة المتعلِّقة بالحقائق الطِّبيَّة الثَّابتة وغير الثَّابتة، ينتقل الباحث إلى الحديث عن التَّطبيق العملي في الاستعانة بالحقائق الطِّبيَّة لشرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، وسوف يأتي الباحث بأمثلة من مؤلفات الطِّبّ النَّبويّ أو المؤلَّفات المتعلِّقة بالإعجاز الطِّبّي. ويقسم الباحث تطبيقهم إلى قسمين،

---

[٧٣٩] انظر: راشيل فريمان وإيرون كارول. ٢٠٠٧. " Medical myths". موقع *MedPage Today*. https://www.medpagetoday.com/upload/٢٠٠٧/١٢/٢٦/١٢٨٨.pdf. التصفح في: ٣١ مايو ٢٠٢١.

[٧٤٠] انظر: رحيم، محمَّد فردوس . ٢٠١٩. "٥ Mitos Tentang Kesihatan Di Malaysia" موقع *hellodoktor.com*. https://hellodoktor.com/kesihatan/fakta-menarik/٥-mitos-tentang-kesihatan-di-malaysia/. التصفح في: ٣١ مايو ٢٠٢١.

وهما: التَّطبيق الصَّحيح لشرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ في ضوء الحقائق الطِّبِيَّة، والتَّطبيق الضَّعيف لشرحها في ضوء الحقائق الطِّبِيَّة.

أما التَّطبيق الصَّحيح، فإنه يتضمَّن استعانة شارح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ بالحقائق الطِّبِيَّة الثَّابتة السَّائدة في عصره. وعلى سبيل المثال، يظهر قول بعض العلماء في شرح حديث: "فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ"[٧٤١]، أنَّ الحبَّة السَّوداء لها نفع طبي ثابت في تقوية الجهاز المناعي للإنسان، الذي يؤدي دورًا في محاربة الأمراض عمومًا. قال الدّكتور زغلول النجار ناقلًا عن الدّكتور أحمد القاضي: "... حبة فيها شفاء من كل داء إلا الموت لا بد أن تكون لها علاقة مباشرة بجهاز المناعة في جسم الإنسان الذي سخّره ربنا – تبارك وتعالى – للدفاع عن هذا الجسم، وقام – يعني الدّكتور أحمد القاضي – بدراسة تلك العلاقة على عدد من المرضى المصابين بنقص المناعة المكتسبة، وأثبت زيادة واضحة في عدد خلايا الدفاع عن الجسم ... مع التناول المنتظم لجرعات مناسبة من الحبَّة السَّوداء ..."[٧٤٢]. وإن هذه النَّتيجة العلميَّة أثبتتها دراسة طبيَّة آخرى، حيث أقرت بأن الجرعة المناسبة للحبة السَّوداء لها أثر فعال في تحسين نسبة الخلايا في المساعدة (Helper T-Cells)، والخلايا تي المكثّفة (Suppresser T-

[٧٤١] البخاري. ٢٠٠٢. *صحيح البخاري*. كتاب الطِّبّ. باب الحبَّة السَّوداء. ص. ١٤٤٣. رقم الحديث ٥٦٨٧. مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب التَّداوي بالحبَّة السَّوداء. ج. ٢: ١٠٥٣. رقم الحديث ٢٢١٥.

[٧٤٢] النجار. ٢٠١٢. *الإعجاز العلمي في السُّنَّة النَّبويَّة*. ص. ٣٨٤.

Cells)، ومن الأمور المعروفة إنَّ الخلايا تي تعدُّ من أهم خلايا الدم البيضاء الموجودة في الجهاز المناعي للإنسان[٧٤٣].

ومن الأمثلة الأخرى ما ذكره الباحث الدّكتور حامد أحمد حامد في شرحه لحديث: "إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ..."[٧٤٤]، فإنه استعان بالحقيقة الطِّبيَّة الثَّابتة أنَّ للإنسان ستين وثلاثمائة مفصل بتمامها، مفرقة بالعمود الفقري ١٤٧ مفصلًا، وبالصدر ٢٤ مفصلًا، وبالطرف العلوي ٨٦ مفصلًا، وبالطَّرف السُّفلي ٩٢ مفصلًا، وبالحوض ١١ مفصلًا[٧٤٥]، وهي بمجموعها تساوي ستين وثلاثمائة مفصلاً كما ذكر الرَّسُول ﷺ في الحديث السَّابق، وهو مما قبلته أكثر الدِّراسات الطِّبيَّة الحديثة[٧٤٦].

وأما التَّطبيق الضَّعيف، فقد وجد الباحث ما يتعلَّق بتفسير قدرة العجوة في الوقاية من السِّحر من خلال دراسة خط الطيف (Spectral line). قال الدّكتور أحمد شوقي إبراهيم: "قامت الجمعية البريطانية التي أشرنا إليها بنشر أبحاثها عن تأثير التَّمر في الوقاية من السُّم والسِّحر في المجلة الدَّورية للجمعية وتسمى جريدة التليباثي (Telepathy)، وقام أعضاؤها بدراسة خط الطيف الذي يجدونه في الجسم بعد هضم سبع تمرات، فوجدوا أنه يعطي خط طيف أزرق يستمر ١٢ ساعة. وقالوا إنَّ العين

---

[٧٤٣] انظر: شيهلا نذير وآخرون. ٢٠١٨. " Kalonji Seeds (Nigella sativa) in Strengthening the Immune System". *Madridge Journal of Case Reports and Studies*. ج. ٣. عدد (١): أغسطس. ص. ٥٦.

[٧٤٤] مسلم. ٢٠٠٦. صحيح *مسلم*. كتاب الزكاة. باب بيان إنَّ اسم الصدقَة يقع على كل نوع من المعروف. ج. ١: ٤٤٨. رقم الحديث ١٠٠٧.

[٧٤٥] انظر: النَّجَّار. ٢٠١٢. *الإعجاز العلمي في السُّنَّة النَّبويَّة*. ص. ٢٧٥، ٢٧٦.

[٧٤٦] انظر: The Medical Healthcare Centres. د.ت. "Joint Problems". *The Medical*. موقع https://www.themedical.co.uk/conditions/joint-problems. التصفح في: ٣١ مايو ٢٠٢١.

هي التي تسحر. فالسِّحر لا يغير طبيعة الأشياء، وإنما يسحر العين. والقدرة السِّحرية في العين لا يبطلها امتصاص كل ألوان الطيف ما عدا اللون الأزرق، هو الذي يبطلها. فمن تصبّح بسبع تمرات كل يوم ينتج عنها خط طيف أزرق اللون يبطل القدرة السِّحرية في العين ..."[٧٤٧].

والذي يراه الباحث، أنَّ هذه النَّظريَّة طرحها مشتغل بنظريات المؤامرة (Conspiracy theories)، مثل سرجي موناست (Serge Monast)، وهو صحافي بريطاني، الذي ادعى علاقة الطيف الأزرق بالمخلوقات الفضائيَّة، ومؤامرات سيطرة الحكومة الأمريكية على العالم، ونحوها[٧٤٨]، وبالتالي لا يليق ليكون برهانًا أو دليلًا في إبراز معاني أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، لأنَّ هذه النظريات كلها تُبنى على الظن الضَّعيف الذي ذمّه الله تعالى في قوله: ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا**﴾[٧٤٩]. وعلاوة على ذلك، فإنَّ السِّحر لا يمكن تفسيره لأنه خارج عن مجالات العُلُوم التجريبية[٧٥٠] المبنيَّة على الفحص والاختبار الظاهر.

---

[٧٤٧] إبراهيم، أحمد شوقي. ٢٠٠٩. *موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النَّبويّ*. مصر: دار نهضة. ج. ٥. ص. ١٢٣.

[٧٤٨] انظر: The Forbidden Secrets: For Your Eyes Only. من موقع http://www.einsteinsreason.yolasite.com/blue-beam.php. التصفح في: ٢٢ مارس ٢٠٢١.

[٧٤٩] القرآن. يونس ١٠:٣٦

[٧٥٠] انظر: إسماعيل. ٢٠١٦. *التَّفسير العلمي للأحاديث النبويَّة: دراسة تأصيلية نقديَّة*. ص. ١٠٧.

المبحث الثَّالث: أن يراعي الأطباء المختصون نقل الحقائق الطِّبيَّة

لكل علم متخصصوه، وكذلك لعلم الطِّبّ، ولذلك ينبغي مراعاتهم بالتثبت من الحقائق المنقولة، تصديقًا وإيمانًا بقول الله تعالى: ﴿ ... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]. ويجب كذلك على شارح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ التأكد من أنَّ مؤلفي المراجع الطِّبيَّة المستعملة هم من المتخصِّصين في علم الطِّبّ. وقد جاء في الموسوعة الفقهيَّة الكويتية: "اتفق الفقهاء على أنه يرجع إلى الأطبَّاء ممن لهم خبرة في معرفة العيوب المتعلِّقة بالرِّجال والنِّساء، وفي معرفة الشجاج والجراح وتحديد أسمائها من الموضحة، والدَّامية، والدَّامغة ونحوها"[٧٥١].

والجدير بالذكر أنَّه من الأفضل أن يتعاون كل من المتخصِّصين في علم الحديث وعلم الطِّبّ، في إنتاج الوجه الجديد للطِّبِّ النَّبويّ الذي يتلائم مع متطلبات العصر الحالي. قال الدّكتور سعد الدِّين منصور في بحثه عن الطِّبّ النَّبويّ: "نحن نقترح بضرورة تأسيس مجموعة يُضم فيها كل من المتخصِّصين في علم الحديث، وفي علم الطِّبّ، لتبويب المعُلومات للطِّبِّ النَّبويّ حتى يتناسب مع ما يحتاج إليه المجتمع المعاصر بلغة واضحة. وهذا التعاون لسبب عدم تمكن المتخصِّصين في علم الطِّبّ من علم الحديث، وقد يستدلوا بأحاديث غير مقبولة عند المحدثين، عندما قاموا بدراسة تتعلَّق بالطِّبّ النَّبويّ، وكذلك المتخصِّصون في

---

[٧٥١] وزارة الأوقاف والشئون الإسلاميَّة. ١٤٢٧. *الموسوعة الفقهيَّة الكويتية*. الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلاميَّة. ج. ١٩. ص. ٢٣، ٢٤.

علم الحديث، ليس لهم الخبرة في مجال الطِّبّ، ولا يعرفون ما يتعلَّق بالدَّواء. وإن هذا الفهم الخاطئ والتَّطبيق المغلوط قد ينتج الشكوك للطِّبِّ النَّبويّ، وقد تضع صحة الإنسان في الخطر والضرر"[٧٥٢].

المطلب الأوَّل: ظاهرة رجوع العلماء إلى متخصص علم الطِّبّ في التَّعامُل مع الأحاديث الطِّبيَّة

تقدَّم في الفصل السَّابق إنَّ ابن قتيبة الدِّينوري يعدُّ أوَّل من استعان بأقوال الأطبَّاء في كتابه "تأويل مختلف الحديث"، وهو من أقوى الأدلَّة التي تعطينا الإشارة إلى اعتراف العلماء بأقوال الأطبَّاء في توضيح ما يتعلَّق بالطِّبّ المذكور في أحاديثه ﷺ الطِّبيَّة. ولذلك قال ابن قدامة تأكيدًا على أهميَّة دور الأطبَّاء: "... إذا اختلف فى الشجة، هل هى موضحة أو لا؟ أو فيما كان أكثر منها، كالهاشمة، والمنقلة، والأمة، والدَّامغة، أو أصغر منها، كالباضعة، والمتلاحمة، والسمحاق، أو فى الجائفة، وغيرها من الجراح، التى لا يعرفها إلا الأطبَّاء، أو اختلفا فى داء يختص بمعرفته الأطبَّاء، أو فى داء الدَّابة، فظاهر كلام الخرقى أنه إذا قدر على طبيبين، أو بيطارين، لا يجزئ واحد لأنه مما يطلع عليه الرِّجال، فلم تقبل فيه شهادة واحد، كسائر الحقوق، فإن لم يقدر على اثنين، أجزأ واحد؛ لأنه مما لا يمكن كل واحد إنَّ يشهد به؛ لأنه مما يختص به أهل الخبرة من أهل الصنعة، فاجتُزئ فيه بشهادة واحد ..."[٧٥٣].

---

[٧٥٢] سردار دميرل وسعد الدِّين منصور. ٢٠١١. *A Theoretical Framework for al-Tib al- Nabawi (Prophetic Medicine) in Modern Times*. ص. ٤٢.

[٧٥٣] المقدسي. ١٩٩٧. *المغني*. ج. ١٤. ص. ٢٧٣، ٢٧٤.

وبالنظر في مؤلفات العلماء، يلخص الباحث أنَّ أكثر العلماء في تعاملهم مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ قاموا بالرجوع إلى علم الطِّبّ والأطبَّاء، وشرحوا أحاديث الطِّبّ النَّبويّ في ضوء الحقائق الطِّبِيَّة المأخوذة من متخصصي علم الطِّبّ، والذي يراه الباحث أنهم في رجوعهم إلى الأطبَّاء ينقسمون إلى ثلاثة أصناف، وهي: صنف من استعان بعلم الطِّبّ ولم يشر إلى رجوعه إليه، وصنف من أشار إلى رجوعه إلى علم الطِّبّ دون ذكر أصحاب القول من الأطبَّاء، وصنف من أشار إلى رجوعه إلى علم الطِّبّ مع ذكر أصحاب القول من الأطبَّاء.

أولًا: صنف من استعان بعلم الطِّبّ ولم يشر إلى رجوعه إليه:

ومن أشهر من اتجه إلى هذا الأسلوب ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه "الطِّبّ النَّبويّ"، حيث يظهر أنه استعان بأقوال طبيب عصره علاء الدِّين الكحَّال، ولم يشر إليه في نقله عنه. قال الدّكتور النَّسيمي: "وعندما اطلعت على كتاب الكحَّال، لاحظت تشابهًا في الشَّرح بينه وبين كتاب ابن القيم، وبما أنَّ الكحَّال ينقل في شرحه الطِّبّي عن البغدادي وغيره، ولذا أجريت مقارنة بين الكُتُب الثَّلاثة، فانتهيت إلى القول بأنَّ كتاب الكحَّال هو المرجع الأوَّل الرئيسي لابن القيم فيما كتب من فصول طبيَّة نبويَّة، وإن لم يصرح ابن القيم بنقله عن الكحَّال، حتى إنك لترى الجمل، والصفحة، والصفحتين متماثلين في بحثيهما اللهم إلا في بعض الكلمات المحذوفة أو المستبدلة ... وأحيانًا يغير ابن القيم ترتيب الأفكار مع بقاء ذات الجمل المعبرة عنها ..."[٧٥٤]. وسيذكر الباحث بعض الأمثلة في ذلك، وهي كالآتي:

---

[٧٥٤] النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ٣. ص. ٩٢.

١- في ما يتعلَّق بفوائد الحبَّة السَّوداء[٧٥٥]، وما يتعلَّق بمنافع العسل[٧٥٦]، فإنه ذكرها ورتبها كترتيب كترتيب ابن طرخان.

٢- في ما يتعلَّق بالكمأة في الأدوية والأغذية المفردة،[٧٥٧]، وما يتعلَّق بعلاج الأورام والخراجات التي تبرأ بالبط والبزل[٧٥٨]، فإنه نقل جملًا كما هو في كتاب ابن طرخان.

ثانيًا: صنف من أشار إلى رجوعه إلى علم الطِّبّ دون ذكر أصحاب القول من الأطبَّاء:

ويمكن القول أنَّ هذا الأسلوب مشهور في كثير من الشروحات الحديثيَّة القديمة، وفي بعض مؤلفات الطِّبّ النَّبويّ، والإعجاز الطِّبّي، وسيذكر الباحث بعض أمثلته في النِّقاط الآتية:

١- قول الخطابي في شرحه لمعنى "العرق" في حديث: "... إِنَّمَا ذَلِكِ عِرْقٌ وَلَيْسَ بِحَيْضٍ ..."[٧٥٩]: "وليس معنى هذا الحديث ما ذهب إليه، ولا مراد الرَّسُول ﷺ من ذلك ما توهمه، وإنما أراد أنَّ هذه العلَّة إنما حدثت بها من تصدع العرق، وتصدع العروق علة معروفة عند الأطبَّاء يحدث ذلك من غلبة الدم فتتصدع العروق إذا امتلأت تلك الأوعية ..."[٧٦٠]، وقوله

---

[٧٥٥] انظر: الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٣٨-٢٣٠، وانظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ١. ص. ٩٣، وانظر: الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ٢٢-٢٥.

[٧٥٦] انظر: الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٧-٢٩، وانظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ١. ص. ٩٣، وانظر: الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ٢٦-٢٩.

[٧٥٧] انظر: الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٧٥-٢٧٩، وانظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ١. ص.٩٣ ، وانظر: الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ٦٨-٧٠.

[٧٥٨] انظر: الجوزيَّة. ٢٠١٣. *الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٨٩، ٩٠، وانظر: النَّسيمي. ١٩٨٤. *الطِّبّ النَّبويّ والعلم الحديث*. ج. ١. ص. ٩٣، ٩٤، وانظر: الكحَّال. ١٩٥٥. *الأحكام النبويَّة في الصناعة الطِّبيَّة*. ص. ١٦١.

[٧٥٩] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب الوضوء. باب غسل الدم. ج. ١: ٥٥. رقم الحديث ٢٢٨.

[٧٦٠] الخطَّابي. ١٩٨٨. *أعلام الحديث*. ج. ١. ص. ٢٨٣.

في موضع آخر عن علاج ذات الجنب بالعود الهندي، حيث قال: "وقد سألت الأطبَّاء عن هذا العلاج، فلم يثبتوه إلا إنَّ محمَّد بن العباس بن جهضم المصري ذكر لي أنه قد قرأ لبعض قدماء الأطبَّاء: إنَّ ذات الجنب إذا حدثت من البلغم نفع منه القسط البحَري، والله أعلم"[٧٦١]. ويظهر أنَّ الخطَّابي استعان بأقوال الأطبَّاء، ولكنه لم يشر إلى أصحابها.

٢- قول القاضي عياض في ذكر نفع التين والعجوة في علاج السموم، حيث قال: "فقد نصَّ أئمة الأطبَّاء أنَّ التين نافع من السموم، وخصَّ بعضهم يابسه وهو فى الحرارة بقرب من التَّمر، وقد ذكر بعضهم أنَّ منفعة التصبح على العجوة من السموم؛ إنَّ معظم السموم إنما تقتل لإفراط بردها ويبسها فتجمد دم القلب تخنق الحرارة الغريزية، فمن دام على التصبح على العجوة تحكمت فيه الحرارة، واستعانت بها الحرارة الطِّبّيعية التى ركبها الله فى عباده على مقاتلة برد السُّم ويبسه فيغلب بردها"[٧٦٢]. ويبدو أنه أشار إلى الأطبَّاء عمومًا، ولم يعين أسماءهم.

٣- قول شمس الدِّين البعلي في كتابه "أربعون بابًا في الطِّبّ من الأحاديث الصِّحاح والحسان" عن السنا: "قال الأطبَّاء في السنا: إنه يقوي القلب، وهي خصوصيَّة له دون غيره من الأدوية المسهلة، فإنه يخلص البدن من المؤذي مع تقوية القلب الذي منه مبدأ حياة جميع

---

[٧٦١] الخطَّابي. ١٩٨٨. *أعلام الحديث*. ج. ٣. ص. ٢١٢٢.

[٧٦٢] القاضي عياض. ١٩٩٨. *إكمال المعلم بفوائد مسلم*. ج. ٦. ص. ٥٣٢.

البدن"[٧٦٣]، حيث يبدو أنه يوضّح نفع السنا للقلب بذكر أقوال الأطبَّاء عمومًا، ولم يسمهم.

٤- قول الدّكتور السيد عبد الحكيم عبد الله عن نفع الحبَّة السَّوداء: "وقد قال أهل العلم بالطِّبّ: إنَّ طبع الحبَّة السَّوداء حار يابس، وهي مذهبة للنفخ، نافعة من البلغم، مفتحة للسدد والريح، مجففة لبلة المعدَّة ..."[٧٦٤]. فذكر نفع الحبَّة السَّوداء، ونسبه إلى قول الأطبَّاء.

ثالثًا: صنف من أشار إلى رجوعه إلى علم الطِّبّ مع ذكر أصحاب القول من الأطبَّاء:

وقد ذكر بعض العلماء أسماء الأطبَّاء الذين رجعوا إليهم في نقل الحقائق الطِّبيَّة لشرح الأحاديث الطِّبيَّة، وهو كما يراه الباحث يصبح عادةً للعلماء في التأليف، خاصَّة لدى المتأخرين منهم. ومن أمثلة ذلك:

١- قول ابن حجر العسقلاني عن الفصادة ناقلًا عن ابن سينا: "وقد قال ابن سينا في أرجوزته: ومن يكن تعود الفصادة فلا يكن يقطع تلك العادة، ثم أشار إلى أنه يقلل ذلك بالتدريج إلى أن ينقطع جملة ..."[٧٦٥]، فقد صرّح ابن حجر بنقله عن ابن سينا فيما يتعلَّق بحقائق طبيَّة.

٢- تصريح السيوطي في كتابه "الطِّبّ النَّبويّ" باسم الأطبَّاء الذين رجع إليهم، مثل قوله عن الإثمد: "قال في الموجز: الإثمد بارد في الأولى، يابس في الثَّانية، يقبض ويجفف بلا لذع،

---

[٧٦٣] البعلي. د.ت. *أربعون بابًا في الطِّبّ من الأحاديث الصِّحاح والحسان*. ص. ٤٥.

[٧٦٤] عبد الله. ١٩٩٨. *إعجاز الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٦٧.

[٧٦٥] العسقلاني. ١٣٧٩. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. ج. ١٠. ص. ١٥١.

ويدمل القروح، ويذهب بلحمها الزَّائد، ويقوي العين، ويقطع الرعاف ..."[٧٦٦]، فصاحب الموجز هو ابن النفيس، من خلال كتابه الموجز في الطِّبّ، كما هو معروف. وقال في موطن آخر عن السَّنا: "قال الموفق عبد اللطيف: السَّنا دواء شريف ... يسهل الصفراء والسَّوداء، ويقوي جرم القلب ..."[٧٦٧]، فإنَّ الموفق عبد اللطيف هو صاحب "الأربعين الطِّبيَّة المستخرجة من سنن ابن ماجه"، كما مرَّ سابقًا.

٣- وقد أكثر الدّكتور حسان باشا الرجوع إلى مقالات كتبها أطباء الغرب، وأشار إلى أسماءهم في كتابه "الطِّبّ النَّبويّ بين العلم والإعجاز"، في الموضوعات المختلفة لشرح الأحاديث الطِّبيَّة، مثل ما يتعلَّق بنفع التَّمر، واللبن، والسِّواك، ونحوها[٧٦٨].

والجدير بالذكر أنَّ بعض العلماء مع استعانتهم بأقوال المتخصِّصين في علم الطِّبّ، إلا أنهم في بعض الأحيان نقلوا بعض الحقائق الطِّبيَّة عن من لم يتخصص في علم الطِّبّ، مثل ما قام به السيوطي في نقله عن ابن قيِّم الجوزيَّة فيما يتعلَّق بنفع الحناء طبيًا، حيث قال في نقله عنه: "قال ابن القيم: الحناء بارد في الأولى، يابس في الثَّانية، ومن منافعه أنه محلل نافع من حرق النَّار، وفيه قوة موافقة للعصب إذا ضمد به، وينفع إذا مضغ من قروح الفم والسلاق العارض فيه ..."[٧٦٩]، وكذلك مثل ما قام به الدّكتور السيد عبد الحكيم عبد الله في نقله عن ابن حجر العسقلاني فيما يتعلَّق بمرض الجذام، حيث قال: "وقد أضاف ابن

---

[٧٦٦] السيوطي. ٢٠٠٢. *المنهج السوي والمنهل الروي في الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٦٣

[٧٦٧] المصدر نفسه. ص. ٢٩٦.

[٧٦٨] انظر: باشا. ٢٠٠٨. *الطِّبّ النَّبويّ بين العلم والإعجاز*.

[٧٦٩] السيوطي. ٢٠٠٢. *المنهج السوي والمنهل الروي في الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ٢٨٥.

حجر العسقلاني بعض الإيضاحات عن مرض الجذام التي استدعت الحذر منه، فقال: الجذام علة رديئة تحدث من انتشار المرة السَّوداء في البدن كله، فيفسد مزاج الأعضاء، وهيأتها، وشكلها، وربما فسد في آخره ..."[٧٧٠]. والذي يراه الباحث، من الأفضل الرجوع إلى من يتخصص في علم الطِّبّ رجوعًا مباشرًا، للحفاظ على أصالة الحقائق الطِّبِيَّة المستعملة في شرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ.

المطلب الثَّاني: مراعاة التَّخصص الدَّقيق في علم الطِّبّ

وبعد حديثنا عن أهميَّة الرجوع إلى علم الطِّبّ والأطبَّاء في شرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، يرى الباحث أهميَّة ذكر نقطة أخرى، وهي الرجوع إلى المتخصِّص الدَّقيق في علم الطِّبّ، حيث إنَّ رجوعنا إلى الأطبَّاء لا يتوقف عند حدود الرجوع إليهم عمومًا، بل لا بد من إمعان النَّظر في مجالات الطِّبّ التي نقف أمامها، لأنَّ علم الطِّبّ واسع جدًا، ويشمل أكثر من عشرين مجالاً، مثل طبّ القلب (Cardiology)، وطبّ الكلى (Nephrology)، وطبّ الغدد الصم (Endocrinology)، وطبّ الأعصاب (Neurology)، وطبّ الرئة (Pulmonology)، وغيرها من المجالات الكثيرة[٧٧١]. وبالتالي، ينبغي في شرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ التأكد من مجال الطِّبّ المناسب الذي تضمنه الحديث، ثم اللجوء إلى المتخصِّص الدَّقيق، للحصول على التَّوجيه الطِّبّي المناسب. وعلى سبيل المثال، إنَّ

---

[٧٧٠] عبد الله. ١٩٩٨. *إعجاز الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١٥.

[٧٧١] انظر: وزارة الصِّحَّة ماليزيا. د.ت. *Specialty and Subspecialty Framework of Ministry of Health Hospitals Under ١١th Malaysia Plan (٢٠١٦-٢٠٢٠)*. بوتراجايا: قسم التطوُّر الطِّبّي بوزارة الصِّحَّة ماليزيا.

الأحاديث المتعلِّقة بالأمراض المعدية والوباء، لا بدَّ من شرحها في ضوء الحقائق الطِّبيَّة المأخوذة من طبيب الأمراض المعدية (Infectiologist)، وكذلك الأحاديث المتعلِّقة بعلم الأجنَّة، فشرحها يجب إنَّ يكون في ضوء طبّ التَّوليد وطب النِّساء (Obstetrics and Gynaecology)، وقول مختصيهما مقدَّم على أقوال غيرهما من الأطبَّاء.

المبحث الرَّابع: أن يميز بين أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المبنيَّة على الوحي، والمبنيَّة على الاجتهاد

تقدَّم في الفصل الثَّالث من البحث الحديث عن اختلاف العلماء في منشأ الطِّبّ النَّبويّ بين الوحي الرباني، وبين الاجتهاد الصَّادر عن الرَّسُول ﷺ، وقد رجّح الباحث أنَّ الطِّبّ النَّبويّ يتضمَّن جانبي الوحي والاجتهاد معًا، حيث تظهر في بعضه القرائن السِّتَّة كما مر سابقًا، التي تدل على أنه من الوحي، ويعد غيره الذي لا تنطبق عليه هذه القرائن من طائفة اجتهادات الرَّسُول ﷺ. وقد تقدَّم ذكر الأمثلة على كلا الصنفين من أحاديث الطِّبّ النَّبويّ في نفس الفصل أيضًا. قال الدّكتور مصطفى خضر دونمز: "وخلاصة القول إنَّ بعض الأدوية التي أوصاها النَّبيّ ﷺ لبعض الأمراض، نبتت عن معرفته وتجربته الشخصيتين ولم تنشأ من المعُلُومات التي هي وليدة الوحي. فليست ملزمة الزَّامًا شرعيًا. وأما الأحاديث المتعلِّقة بمبادئ الطِّبّ وما يدخل في المجال الحكم الشَّرعي، هي حصيلة الوحي"[٧٧٢].

[٧٧٢] انظر: الإصبهاني. ٢٠٠٦. *موسوعة الطِّبّ النَّبويّ*. ص. ١١٥.

أهميَّة التفريق بين أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المبنيَّة على الوحي، والمبنيَّة على الاجتهاد

إنَّ في التَّفريق بين صنفي أحاديث الطِّبّ النَّبويّ بعض الأهميَّة، وهي:

أولًا: معرفة ما لم يعمل به من التَّوجيهات النبويَّة

ويبدو في عدَّة أحاديث تدل على أنَّ الرَّسُول ﷺ اجتهد في بعض الأمور الدنيويَّة، وأخطأ فيها، واعترف به، ووجّه الصَّحابة إلى الأخذ بما خالفه حسب علمهم بصلاحيته. ومن أشهر القصص التي استدل بها العلماء قصة تأبير النَّخل المشهورة من حديث طلحة بن عبيد الله، حينما ترك القوم تلقيح النَّخل لقول الرَّسُول ﷺ بعدم غنى ذلك شيئًا، فخرج بسرًا رديئًا بعدئذٍ، فقال ﷺ: "**إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ**، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ"[٧٧٣]، وفي رواية أخرى، قال ﷺ لهم: "مَا لِنَخْلِكُمْ؟"، قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ ﷺ: "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ"[٧٧٤]، حيث يبدو أنَّ الرَّسُول ﷺ نفسه أقر بخطأ توجيهه ﷺ إلى الصَّحابة في هذا الشَّان، وأشار إلى أنَّ اجتهاده ﷺ في الشُّؤون الدنيويَّة يحتمل الخطأ في بعض الأحيان، ولذلك لا يُعمل به لمخالفته ما هو صواب ميّزته التجربة والواقع[٧٧٥].

وانطلاقًا من هذا الأمر، قال بدر الدِّين العيني تعليقًا على هذه القصة: " فتبين من ذلك إنَّ الرَّأي منه ﷺ كالرَّأي من غيره في احتمال الغلط، ولكنه ﷺ لا يقر إلا على الصواب، فإذا أقرَّ على

---

[٧٧٣] مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب الفضائل. باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا. ج. ٤: ١٨٣٥. رقم الحديث ٢٣٦١.

[٧٧٤] المصدر نفسه. كتاب الفضائل. باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا. ج. ٤: ١٨٣٦. رقم الحديث ٢٣٦٣.

[٧٧٥] انظر: حاج محمَّد. ٢٠١٥. *الطِّبّ النَّبويّ وقواعد التَّعامُل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطِّبِّيَّة*. ص. ٩٤.

ذلك كان وحيًا في المعنى وهو شبه الوحي في الابتداء ..."[٧٧٦]. وبالإضافة إلى ذلك، قد بوّب النَّووي هذه القصة ضمن باب: "وجوب امتثال ما قاله شرعًا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرَّأي"[٧٧٧]، حيث إنَّ ما كان من قبل رأيه ﷺ من الأمور الدنيويَّة لا يجب امتثاله، ولا سيما إذا أقرَّ ﷺ نفسه بذلك. والجدير بالذكر أنَّ خطأ الرَّسُول ﷺ لا يقدح في نبوته وصدقه ﷺ، ولذلك قال القاضي عياض: "... فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتياديَّة يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها ..."[٧٧٨].

وعلاوة على ذلك، أحاديث الطِّبّ النَّبويّ التي تُبنى على الاجتهاد، التجربة هي التي تحكمها، وتعدُّ هذه الأحاديث خارجة عن كونها تشريعيَّة واجبة الاتباع، وإن صحَّت الأحاديث روايةً. قال الدّكتور محمَّد سليمان الأشقر: "ولذا أرى إنَّ تخضع – أي الأدوية ونحوها – للتحليل وللتجارب على الأسس المتعارفة عند أهل الاختصاص. فإنَّ وجدت صالحة أدخلت حيز العمل، ويكون التَّحليل والتجريب هو الحجة في صلاحيتها، دون كونها مما ورد عن النَّبيّ ﷺ، وخاصَّة وأن الكثير منها لا يثبت من حيث الرِّواية بطريق القطع أو شبهه ... وإن لم تثبت صلاحيتها أو ثبت ضررها فلا مانع من بيان ذلك للجمهور لئلا

---

[٧٧٦] العيني، محمود بن أحمد بدر الدِّين. ٢٠٠٨. *نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار*. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. قطر: وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة. ج. ١٣. ص. ٣٩٦.

[٧٧٧] انظر: مسلم. ٢٠٠٦. *صحيح مسلم*. كتاب السَّلام. باب التَّداوي بالحبَّة السَّوداء. ج. ٤: ١٨٣٥.

[٧٧٨] القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي. ١٩٨٨. *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*. تحقيق: أحمد بن محمَّد بن محمَّد الشمنى. دمشق: دار الفكر. ج. ٢. ص. ١٨٥.

يستمر العمل بها"[٧٧٩]. وقال الدّكتور قاسم عمر حاج محمَّد: "ولما وجد في بعض الأحاديث ما يخالف بعض كشوف الطِّبّ حديثًا ... فاللازم على من أراد إنَّ يتطبب وفق توجيهات الأحاديث النبويَّة أن يسند عمله ويعرضه على أهل الخبرة والطِّبّ ليوافقوه أو ينصحونه، لأنه ربما استعمل علاجًا بأقل مما يجب أو بأكثر من ذلك، فيؤذي نفسه، ولو أنَّ الدَّواء في أصله نافع"[٧٨٠].

ثانيًا: إعطاء الفسحة في العمل بأحسن التَّوجيهات الطِّبيَّة

إنَّ في بعض الأحاديث إشارة إلى إذن الرَّسُول ﷺ في الأخذ بأصوب التَّوجيهات من الأمور الدنيويَّة، وإن خالفت رأيه ﷺ، مثل ما حدث في حادثة بدر لما سأل الحباب بن المنذر الرَّسُول ﷺ عن المكان الذي توقفوا فيه، حيث قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أرأيتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلًا أنزلَكه اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرأيُ والحربُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: "بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ"، ولذلك اقترح الحباب مكاناً آخر رآه أحسن مما كانوا فيه، بناءً على علمه في تدابير الحرب، وأقرَّ الرَّسُول ﷺ ذلك، حيث قال ﷺ: "لَقَدْ أشرتَ بِالرَّأْيِ"[٧٨١]. وهذه القصة تدلُّ على تمسُّك الرَّسُول ﷺ بأحسن وجوه التَّوجيهات من الأمور الدنيويَّة، وإن عارضت رأيه ﷺ ابتداءً.

والأمر كذلك في الطِّبّ النَّبويّ، حيث إنَّ التوقف في العمل بأحاديث الطِّبّ النَّبويّ المبنيَّة على الاجتهاد لظهور ما هو أحسن منها من التَّوجيهات الطِّبيَّة يُعدُّ جائزًا. قال الدّكتور سعد الدِّين: "... لا

---

[٧٧٩] الأشقر، محمَّد سليمان. د.ت. "مدى الاحتجاج بالأحاديث النبويَّة في الشُّؤون الطِّبيَّة والعلاجيَّة". *موقع إسلام سيت*. https://web.archive.org/web/٢٠١٢٠٤٠٥٠٣٤٦٢٧/http://www.islamset.com/arabic/ahip/islamic/nabawi/ashkar.html. التصفح في: ٣١ مايو ٢٠٢١.

[٧٨٠] حاج محمَّد. ٢٠١٥. *الطِّبّ النَّبويّ وقواعد التَّعامُل مع الأحاديث الواردة في المسائل الطِّبيَّة*. ص. ١٠٦.

[٧٨١] ابن هشام. ١٩٥٥. *السيرة النبويَّة لابن هشام*. ج. ١. ص. ٦٢٠.

يعدُّ من التكاليف الدِّينيَّة للمسلم اليوم الذي أصيب بمرض أصيب الرَّسُول ﷺ علاج نفسه بنفس أدوية استعملها الرَّسُول ﷺ ... ولعل الرَّسُول ﷺ لو عاش في عصرنا لكان راغبًا في استشار الأطبَّاء المعاصرين، وفي تطبيق معالجاتهم ..."[٧٨٢]. وقد تقدَّم الحديث عن علاج استطلاق البطن بالعسل الذي يُعدُّ علاجًا تكميليًا للأدوية الصيدلية كما أكّد الدّكتور النَّسيمي آنفًا، ولذلك تقديم الأدوية الصيدلية على العسل يعد جائزًا، بل واجبًا، لآثارها في علاج استطلاق البطن كما أكَّد الطِّبّ المعاصر. وكما تقدَّم أيضًا عن علاج اللدغات بالملح، فإنها لا تُعمل بها ولو ذُكرت في الحديث لمخالفتها بما أثبته الطِّبّ المعاصر الذي رفضها لضررها، فالعلاج الطِّبّي المعاصر الذي يجمع بين معالجات عرضيَّة ومعالجة مناعيَّة حينئذ يعدُّ أحسن طرق في علاج هذا المرض لثبوتها عند المكتشفات الحديثة.

ثالثًا: انتفاء التهم عن الرَّسُول ﷺ

إنَّ من أهم الأهداف في بيان أنَّ بعض توجيهات الرَّسُول ﷺ الطِّبيَّة تدخل في اجتهاداته ﷺ نفيُ التهم والفتن عن شخصية الرَّسُول ﷺ، وعلى سبيل المثال، إذا تناول فرد أدوية ذُكرت في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، ولم يستفد، أو ألحق بنفسه ضرراً آخر، لسبَّب له شكوكًا، مع عدم علمه بأن بعض الأدوية التي ذكرها الرَّسُول ﷺ كانت من رأيه ﷺ كبشر، ولم تكن وحياً من الله تعالى.

---

[٧٨٢] سردار دميرل وسعد الدّين منصور. ٢٠١١. *A Theoretical Framework for al-Tib al- Nabawi (Prophetic Medicine) in Modern Times*. ص. ٤١.

المبحث الخامس: أخلاقيَّات الباحث في التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ

وبعد تحديد الضَّوابط العلميَّة والمنهجيَّة للتعامل مع الطِّبّ النَّبويّ، يرى الباحث أهميَّة ذكر بعض النِّقاط المتعلِّقة بالآداب والأخلاق، التي ينبغي لمن أراد أن يتعمَّق في الطِّبّ النَّبويّ مراعاتها، وهي تتناسب مع معظم المجالات التي لها علاقة بالعلم والمعرفة، لأنَّ العلم في الإسلام ليس بمجرد اكتسابه، وجمعه، وإثبات شيء جديد فيه، ولكن لكلٍ من هذه الطرق والإجراءات آدابها الخاصَّة، وهي منبثقة عن آيات القُرآن الكريمة، والسُّـنَّة النَّبويَّة المطهرة. قال الرَّسُول ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"[٧٨٣]، ولذلك إنَّ العلم لا يؤخذ ممن له إحاطة بالعلم فحسب، بل ممن ضمَّ إلى تلك القدرة التخلق بالآداب الكريمة، ويمكن توضيح هذا الضابط من خلال النِّقاط الآتية:

أوَّلًا: احترام جميع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ على أساس أنها ثبتت من حيث الرِّواية.

نوقش سابقًا أنَّ أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المقبولة عند المحدثين تنقسم إلى ما بُني على الوحي، وعلى الاجتهاد. وقد ذُكر آنفًا إنَّ في بعض أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المبنيَّة على الاجتهاد مخالفة لما أثبته الطِّبّ الحديث، حيث يبدو كأن في بعضها ما يصلح لعصره ﷺ، ولكنه غير صالح للتطبيق في العصر الحديث، ولذلك قال المازري عن حديث تناول سبع تمرات للوقاية من السم والسِّحر، أنه خاص لأهل زمانه ﷺ[٧٨٤]. وبالرغم من ذلك، فاحترامها وتوقيرها ما زال واجبًا، لصحة نسبتها إلى الرَّسُول ﷺ. وقد قال الله تعالى تأييدًا لهذا التوقير الواجب: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ**

---

[٧٨٣] ابن حنبل. ٢٠٠١. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مسند المكثرين من الصَّحابة. مسند أبي هريرة رضي الله عنه. ج. ١٤: ٥١٢، ٥١٣. رقم الحديث ٨٩٥٢. قال شُعيب الأرنؤوط في التحقيق: صحيح، وهذا إسناد قوي.

[٧٨٤] انظر: المازري. ١٩٨٨. *المعلم بفوائد مسلم*. ج. ٣. ص. ١٢١.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وإن كان احترام أقوال علماء الأمَّة مطلوبًا، فاحترام أقوال الرَّسُول ﷺ أولى، لأنه ﷺ أعلم منهم وأفقه، بل إنَّ وقوع بعض أخطائه ﷺ يُعدُّ دليلًا على بشريته ﷺ، ولا يؤثر في علو رتبته ﷺ عند الله تعالى، وعند المسلمين.

ومن أمثلة ذلك قول الأستاذ أحمد أمين في حديث "الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ"[٧٨٥]، وحديث "العَجْوَةُ مِنَ الجَنَّةِ وَفِيهَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ"[٧٨٦]: "فهل اتجهوا في نقد الحديث إلى امتحان الكمأة؟ وهل فيها مادة تشفي العين؟ أو العجوة، وهل فيها الترياق؟ نعم إنهم رووا إنَّ أبا هريرة قال: «أخذت ثلاث أكمؤ أو خمسًا أو سبعًا فعصرتهن في قارورة وكحلت به جارية لي عشماء فبرأت». ولكن هذا لا يكفي لصحة الحكم، فتجربة جزئية نفع فيها شيء لا تكفي منطقياً لإثبات الشيء في فعالية الأدوية، إنما الطريقة إنَّ تُجَرِّبَ مِرَاراً، وخير من هذا أن تحلل لتعرف عناصرها، فإذا لم يكن التَّحليل في ذلك العصر مُمْكِناً فلتكن التجربة مع الاستقراء، فكان مثل هذا طريقاً لمعرفة صحة الحديث أو وضعه"[٧٨٧]. ويظهر أنه رفض صحة هذين الحديثين بحجة عدم ثبوتها من ناحية التَّحليل والفحص، مع إنَّ هذين الحديثين صحيحان من حيث الرِّواية.

قال الدّكتور مصطفى السباعي ردًّا على حجة الأستاذ أحمد أمين: "أن الحديث صحيح ثابت في الصَّحيحين وغيرهما، وسنده من ناحية النَّقد متين ليس في روايته متهم ولا مجروح ... ولا أدري كيف

---

[٧٨٥] البخاري. ١٤٢٢. *صحيح البخاري*. كتاب تفسير القُرآن. باب: وقوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾. ج. ٦: ١٨. رقم الحديث ٤٤٧٨.

[٧٨٦] التِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. أبواب الطِّبّ. باب ما جاء في الكمأة والعجوة. ج. ٤: ٤٠٠. رقم الحديث ٢٠٦٦. قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح غريب.

[٧٨٧] أمين، أحمد. ٢٠١٢. *ضحى الإسلام*. القاهرة: مؤسَّسة هنداوي. ص. ٤٨٢، ٤٨٣.

يسوغ له أن يشك في حديث لا غبار على سنده، وقد جرب متنه واتفق الأطبَّاء على صحته، ولو أنه أثبت لنا من بُحُوث الطِّبّ اليوم ما لا يتفق مع ما دل الحديث لجاز له أن يقف ويتساءل ويشك ويرمي القدامى بالتقصير، ولكنه لم يفعل وهيهات أن يفعل"[٧٨٨].

وبالإضافة إلى ذلك، ينبغي لأي باحث في الطِّبّ النَّبويّ الابتعاد عن المبالغة في الإعجاب بالتطوُّرات في العُلُوم التجريبيَّة، ووضع النُّصُوص خلفها في الرتبة، كما قال الله تعالى في ذم اليهود: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠١]، أي أهملوا النُّصُوص الصريحة اتباعًا لأهوائهم، فالطريقة الصَّحيحة في التَّعامُل مع النُّصُوص الثَّابتة هي تقديمها على العُلُوم التجريبية، والشعور بأن هذا الجهد يعدُّ خدمةً للنصوص الشرعيَّة، فالنُّصُوص هي الأساس المستقر الثَّابت، والحقائق العلميَّة تعتبر تابعةً لها. قال الدّكتور أحمد شوقي إبراهيم: "لا تجوز محاولة إخضاع النص القُرآني – وما أعظم شأنه – للحقائق العلميَّة التي توصل إليها الإنسان، وما أقل شأنها. كما لا ينبغي محاولة التوفيق بين ما في القُرآن أو الحديث النَّبويّ من علم بلا حدود، وبين ما لدى الإنسان من علم قليل ومحدود"[٧٨٩].

ثانيًا: عدم الجزم بالحقائق الطِّبِّيَّة الشَّارحة لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ.

ومن المعْلُوم إنَّ العلماء في العُصُور المختلفة قاموا بجهود كبيرة في مجال الطِّبّ النَّبويّ من خلال مصنفاتهم المتفرقة، وإنَّ كثيرًا منهم حاولوا شرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ بعلم الطِّبّ السَّائد في زمنهم

---

[٧٨٨] السباعي، مصطفى بن حسني. ١٩٨٢. *السُّنَّة ومكانتها في التَّشريع الإسلامي*. بيروت المكتب الإسلامي. ص. ٢٨٥-٢٨٧.

[٧٨٩] إبراهيم، أحمد شوقي. ٢٠٢٠. "المنهج العلمي في دراسة الإعجاز العلمي في القُرآن والسُّنَّة" .*موقع إسلام أون لاين*. https://islamonline.net/٣٣٥٩٩. التصفح في: ٣١ مايو ٢٠٢١.

لإظهار معجزة النُّـبوَّة، واستمرت هذا الجهود إلى العُصُور الحديثة بظهور المؤلَّفات المعاصرة في الإعجاز العلمي خاصَّة لإبراز مدى التوافق بين ما نصّ عليه الرَّسُول ﷺ في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، وبين ما اكتشفه الطِّبّ المعاصر.

وبالرغم من ذلك، لا يجوز لأي باحث في الطِّبّ النَّبويّ الجزم بالحقائق الطِّبيَّة المستخدمة في شرحه لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ، لأنَّ العُلُوم الطِّبيَّة تتطوَّر سريعًا، وتتغير بتغير الإنجاز العلمي، ولذلك يمكن القول إنَّ ثبات العلاقة بين أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، وبين حقائقها الطِّبيَّة يحتاج إلى المتابعة المستمرة من المتخصِّصين في علم الحديث وعلم الطِّبّ، حتى تصبح هذه الحقائق لائقة بما هو أثبت في علم الطِّبّ. قال الدّكتور أحمد شوقي إبراهيم: ولا ينبغي أن يُعدّ أي باحث فهمه للنص في القُرآن أو السنة فهمًا صحيحًا كل الصِّحَّة، فقد لا يكون كذلك، وحسبه أن يكون اجتهادًا مدروسًا ومبنيًّا على منهج علمي سليم لمحاولة فهم بعض المعاني في الآية أو الحديث، وليس فهمًا لمعانيه جميعًا، لأنَّ معانيه جميعًا لا يحيط بعلمها إلا الله تعالى"[٧٩٠]، وقال أيضًا: "... ينبغي ألا نعتبر أي فهم علمي نصل إليه لنص قرآني أو نبوي فهمًا أو تفسيرًا حتميًا دائمًا، ولكن نضع في الحسبان دومًا احتمال خطأ الباحث في الفهم أو التَّفسير"[٧٩١].

ثالثًا: أن لا يترتب على الشرح الطِّبّي تغيير الاستشعار التعبدي إلى التنافس في نيل الفوائد الماديَّة.

---

[٧٩٠] المصدر نفسه.

[٧٩١] المصدر نفسه.

إن المكتشفات الحديثة اليوم أشارت إلى كثير من الفوائد الصِّحيَّة والحِكم العلميَّة، في كثير من العبادات كالصَّلاة، والصيام، وغيرها. وإن العبادات كلها قائمة لوجه الله تعالى، فإنها راجعة إلى النَّاس من حيث النفع المادي، كالنفع الصحي ونحوه. وهذا الأمر يليق بما قال الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[٧٩٢].

وإن كان الأمر كذلك، لا ينبغي لأي مسلم أن يجعل هذه الفوائد الصِّحيَّة مبتغاه إطلاقًا. قال الله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٧٩٣]. قال الطَّبري: "من عمل صالحًا التماس الدنيا صومًا أو صلاةً أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا؛ يقول الله: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين"[٧٩٤].

أما ابتغاءه في القيام بالعبادات لوجه الله تعالى، وقصد معه تحصيل الفوائد الصِّحيَّة، فحكمه الجواز بشرط أن يكون الباعث الأقوى هو ابتغاء وجه الله تعالى. قال ابن عاشور: "... فأما إن كان للنفس حظ عاجل وكان حاصلًا تبعًا للعبادة وليس هو المقصود فهو مغتفر وخاصَّة إذا كان ذلك لا تخلو عنه

---

[٧٩٢] القرآن. فصلت ٤١:٤٦

[٧٩٣] القرآن. هود ١٦-١٥ :١١

[٧٩٤] الطَّبري، محمَّد بن جرير. ٢٠٠١. *جامع البيان عن تأويل آي القُرآن*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الجيزة: دار هجر. ج. ١٢. ص. ٣٤٧.

النفوس، أو كان مما يعين على الاستزادة من العبادة"[٧٩٥]. وأما إذا كان التحصيل الدنيوي هو الباعث الأقوى، فلا شيء عليه من ثواب الآخرة. قال ابن عثيمين: "وإن كان الأغلب عليه نية غير التعبد، فليس له ثواب في الآخرة، وإنما ثوابه ما حصله في الدنيا، وأخشى أن يأثم بذلك، لأنه جعل العبادة التي هي أعلى الغايات وسيلة للدنيا الحقيرة ..."[٧٩٦]. والخلاصة في هذا المقام إنَّ الفوائد الصِّحَّة الحاصلة من القيام بالعبادات تنزل منزلة ثانوية، بعد الفوائد الأخرويَّة، لأنَّ الأمر الأساسي في العبادات هو ابتغاء وجه الله تعالى، ويأتي بعد ذلك الصِّحَّة والشِّفاء من خلالها بإذن الله تعالى.

رابعًا: عدم استصغار جهود العلماء السَّابقين.

إنَّ العلماء بغض النظر عن المجالات التي تخصصوا فيها، يجب احترام علمهم، وإسهاماتهم في الدِّين، فقد قال الرَّسُول ﷺ: "فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ"[٧٩٧]. ولذلك فإنَّ جميع مصنفاتهم في هذا المجال يجب احترامها والثناء عليها، وإن كانت في بعض أجزاءها ما لا يتناسب مع العُلُوم الحديثة التي تتجدد بازدياد المكتشفات العلميَّة الحديثة. وقد أجادوا في أعمالهم لخدمة أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، لانتفاع بها النَّاس، ولعلهم قد حاولوا قدر إمكانهم العمل بالتَّوجيهات النبويَّة الطِّبيَّة في الأحاديث، ودعوا النَّاس للعمل بها أيضًا، فالمسلمون لا يكلفون إلا بقدر

---

[٧٩٥] التونسي، محمَّد الطاهر بن عاشور. ١٩٨٤. *التحرير والتنوير*. تونس: الدَّار التُّونسيَّة. ج. ٢٣. ص. ٣١٨.

[٧٩٦] العثيمين، محمَّد بن صالح. ١٤١٣. *مجموع فتاوى ورسائل*. تحقيق: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان. القاهرة: دار الوطن. ج. ١. ص. ٩٩.

[٧٩٧] التِّرمذي. ١٩٧٨. *سنن التِّرمذي*. كتاب العلم. باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة. ج. ٥: ٥٠. رقم الحديث ٢٦٨٥. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

استطاعتهم، كما ذكر الرَّسُول ﷺ في حديث أبي هريرة: "... فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"[٧٩٨]. وخلاصة القول، يجب لمن يبحث في الطِّبّ النَّبويّ، أن يحترم ما توصل إليه العلماء السَّابقون، ولا يجوز إنَّ يستهزأ بما قاموا به، لأنه دليل من أدلة الاستهزاء بالدِّين، لأنهم الذين حملوا لواء هذا الدِّين من قبل.

[٧٩٨] مسلم. ٢٠٠٦. صحيح *مسلم*. كتاب الحج. باب فرض الحج مرة في العمر. ج. ١: ٦٠٨. رقم الحديث ١٣٣٧.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الخاتمة

نتائج البحث وتوصياته

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمَّد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدِّين، وبعد؛ ففيما يأتي أهم نتائج البحث، وتليها التَّوصيات المناسبة:

أوَّلًا: نتائج البحث

١. إن التَّعريف المعتمد للطِّبِّ النَّبويّ هو "مجموع ما ثبت وروده عن رسول الله ﷺ، مما له علاقة بالطِّبّ، سواء أكان آيات قُرآنيَّة كريمة، أو أحاديث نبويَّة شريفة".

٢. إن علم الطِّبّ يُعدُّ من العُلُوم المعروفة عند بعض الأمم السَّابقة قبل مجيء الإسلام، مثل المصريين، واليونانيين، والفرس، والهنود، والصينيين، والعرب، وقد ألغى الإسلام ما يتعلَّق بالمعتقدات الفاسدة المتعلِّقة بالطِّبّ التي اعتقدها العرب، وأقر ببعض التَّطبيقات الطِّبيَّة المادية مثل الحجامة، والحمية لثبوت نفعها، وأضاف عليها بعض الوسائل الطِّبيَّة الأخرى مثل الاستشفاء بالقُرآن، وبالأدعية والأذكار.

٣. وبعد انتشار الإسلام من خلال الفتوحات الكثيرة، اشتدَّ حرص المسلمين على علم الطِّبّ، وأدَّى إلى ظهور مصطلح "الطِّبّ النَّبويّ" في القرن الثَّالث، ويعد الإمام جعفر الصَّادق أوَّل من أملى رسالة في الطِّبّ النَّبويّ، واستمرت جهود المسلمين بعد ذلك في خدمة الطِّبّ النَّبويّ بالمؤلَّفات إلى القرون المتأخرة، مثل جهود ابن السني وأبي نعيم من المتقدِّمين، والسيوطي وابن طولون من المتأخرين، والشَّيخ عبد الله الجار الله والدّكتور النَّسيمي من المعاصرين.

٤. وقد اختلف العلماء في قضيَّة الطِّبّ النَّبويّ بين الوحي والاجتهاد إلى ثلاثة أقوال، أوَّلها الإقرار بأنَّ أحاديث الطِّبّ النَّبويّ هي وحي من الله مطلقًا، وهو قول ابن قيِّم الجوزيَّة وغيره من العلماء، وثانيها اختيار البعض بأنَّ أحاديث الطِّبّ النَّبويّ هي اجتهاد محض من الرَّسُول ﷺ، وهو قول ابن خلدون وغيره من العلماء، وثالثها التوسط بين القولين، حيث أكّد أنصار هذا القول أنَّ أحاديث الطِّبّ تشمل جانبي الوحي والاجتهاد معًا، بناءً على محتوياتها، وهو قول الدّكتور النَّسيمي وغيره من العلماء، وهو القول الذي رجّحه الباحث.

٥. اختلف العلماء في قضيَّة الاستشهاد بالأحاديث الضَّعيفة في الطِّبّ إلى ثلاثة أقوال، أوَّلها من قال بجواز الاستشهاد بالأحاديث الضَّعيفة، في أبواب الأحكام، أو في غيرها من الأبواب، وثانيها من يرى أنَّ الأحاديث الضَّعيفة لا يستشهد بها على سبيل الإطلاق، لا في الأحكام والعقائد، ولا في غيرها، وهو قول ابن تيمية وغيره من العلماء، وثالثها من منع الاستشهاد بالأحاديث الضَّعيفة في العقائد والأحكام مطلقًا، وأجاز الاستشهاد بها في غير العقائد والأحكام، وهو قول ابن قيِّم الجوزيَّة والدّكتور النَّسيمي، ورجّحه الباحث.

٦. لم يحدّد معظم المتقدِّمين من العلماء محاور الطِّبّ النَّبويّ في مؤلفاتهم، خلافًا للمعاصرين منهم الذين حدّدوا المحاور الواضحة للطِّبِّ النَّبويّ، ومع ذلك لا يختلف المتقدمون والمعاصرون في ما استوعبته مسميات الطِّبّ النَّبويّ، ولكن الاختلاف واقع في تقسيم هذا الاستيعاب بناءً على المحاور المناسبة له.

٧. إن أنسب المحاور للطِّبِّ النَّبويّ هي خمسة محاور، أوَّلها، أخلاقيَّات طبيَّة نبويَّة، وهي مجموعة من القيم والآداب التي خطّطها الرَّسُول ﷺ في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ لممارسة المهنة الطِّبيَّة، وثانيها، الطِّبّ النَّبويّ الوقائي، وهو مجموعة من الإرشادات النبويَّة لوقاية الإنسان من الأمراض، من خلال الاهتمام بالقضاء على أسباب وقوع الأمراض قبل وصولها إلى الإنسان، ويشمل وقاية الإنسان من الأمراض السَّارية، ومنع انتشار العدوى إذا وقعت، وثالثها، الطِّبّ النَّبويّ العلاجي، وهو يشمل طرق علاج الرَّسُول ﷺ للأمراض بعد حدوثها، للقضاء على الأمراض بالكليَّة، أو التخفيف من حدتها، ورابعها، الطِّبّ النَّبويّ النَّفسي الرُّوحي، وهو يشمل الوقاية من الأمراض النَّفسيَّة أو الرُّوحانية، وعلاجها بعد الحدوث، مثل أمراض الهم، والرياء، والحسد، وكذلك السِّحر، والعين، ويشمل كذلك الرقية الشرعيَّة الثَّابتة، وأخطاء ممارستها وخامسها، قضايا معيَّنة ذات العلاقة بالطِّبّ، وهي القضايا الخاصَّة التي تساهم في مجال الطِّبّ المذكورة في أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، ولا تتعلَّق بالمحاور الأربعة الأخرى بالمباشرة.

٨. تأثر كثير من العلماء بتطوُّر علم الطِّبّ، واستعانوا بأقوال الأطبَّاء في مؤلفاتهم لشرح أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، ومع ذلك اكتفوا بعلم الطِّبّ السَّائد في عصورهم في استعانتهم به، ويعد ابن قتيبة الدِّينوري أول من استدلَّ بأقوال الأطبَّاء في التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ.

٩. إن تطوُّر علم الطِّبّ في معظم الأحوال يترك التأثير الكبير في كيفيَّة تناول العلماء لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ، بصرف النظر عن محاورها، وإنَّ تطوُّر علم الطِّبّ في معظم الأحيان يؤكّد فهم

الحديث، وما أسّسته أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، ويوسّع فهم معاني الحديث، وحكمة التَّوجيه النَّبويّ، ونهيه ﷺ في بعض أحاديث الطِّبّ النَّبويّ.

١٠. إن تطوُّر علم الطِّبّ قد يكون دليلًا من الأدلة للتمييز بين الطرق العلاجيَّة المبنيَّة على الوحي أو المبنيَّة على اجتهاد الرَّسُول ﷺ، وقد يرشد الطَّبيب المسلم للبحث عن المباحات من الأدوية كبديل الأدوية المصنوعة من المواد المحرمة التي يشيع استعمالها، وقد يجدّد فهم الحديث.

١١. إن تطوُّر علم الطِّبّ قد لا يؤثر في بيان حقيقة بعض الأمراض الرُّوحانية، وطرق علاجها مثل مرض العين، وهي التي لا يتدخل فيها الطِّبّ الحديث، وإنَّ هذا الأمر يشير إلى إنَّ الطِّبّ النَّبويّ أوسع محاورًا من الطِّبّ الحديث.

١٢. أثبتت هذه الدِّراسة خمسة ضوابط ينبغي مراعاتها في التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، وهي: أن تكون أحاديث الطِّبّ النَّبويّ صحيحة أو حسنة أو ضعيفة ضعفًا يسيرًا، وأن تكون أحاديث الطِّبّ النَّبويّ مشروحة في ضوء الحقائق الطِّبيَّة الثَّابتة والمعاصرة، وأن يراعي الطبيب المتخصص نقل الحقائق الطِّبيَّة، وأن يميز بين أحاديث الطِّبّ النَّبويّ المبنيَّة على الوحي، والمبنيَّة على الاجتهاد، وفي الأخير عن أخلاقيَّات الباحث في التَّعامُل مع أحاديث الطِّبّ النَّبويّ.

ثانيًا: توصيات البحث

١. ينبغي لمن أراد أن يشتغل في مجال الطِّبّ النَّبويّ الرجوع إلى المصادر العلميَّة، وكذلك المصادر الحديثيَّة، والرجوع إلى المصادر الثَّابتة والمعاصرة في علم الطِّبّ.

٢. ينبغي للباحثين في مجال الطِّبّ النَّبويّ متابعة المكتشفات الطِّبيَّة الحديثة باستمرار حتى يصبح الشرح الطِّبّي لأحاديث الطِّبّ النَّبويّ لائقاً بما بالثابت في علم الطِّبّ، وكذلك لإظهار وجه الإعجاز الجديد – إن وُجد – من أحاديث الطِّبّ النَّبويّ، الذي لم يكتشف من قبل.

٣. يقترح الباحث للمتخصصين في علم الحديث وعلم الطِّبّ تأسيس مجموعة يُضم فيها كل من المتخصِّصين في علم الحديث، وفي علم الطِّبّ، لتبويب المعُلُومات للطِّبِّ النَّبويّ حتى يتناسب مع ما يحتاج إليه المجتمع المعاصر بلغة واضحة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA